نهاية غرام

ليس شيئاً اهتم به الدعاة والوعاظ السعوديون في أيام الصحوة الخوالي بمستوى تحذيرهم من إسبال الثياب وحلق اللحى والمعاكسات بين الفتيان والفتيات عبر الهاتف أو الأسواق ومواطن التجمعات النسائية.

وإذا ما تجاوزنا الجدل الذي أعقب ذلك العهد حول ما إن كان الدعاة في ذلك الوقت اهتموا بقضايا لم تكن جوهرية على حساب أخرى أهم وأخطر أم لا؟ فإن "المعاكسات" التي يقصد بها "ترويض الفتاة من جانب الشاب لإيقاعها في غرامه" أضحى نتاج الدعاة في التحذير منها غنياً على الساحة المحلية، ما بين كتاب وكُتيب ومطوية وشريط.

وتلتقي كلها عند تصوير الفتاة "شاة" "والشاب "ذئباً" يستخدم كل حيله الماكرة للتمكن منها وإلحاق الأذى بها، تحت ذريعة "وهم الحب ووعود الزواج الكاذبة" كما ينظِّرون!

وعلى الرغم من وقائع المعاكسات التي ترصدها هيئات الأمر بالمعروف والنهي ومراكز الشرطة في أنحاء البلاد إلا أن كتاباً

وليبراليين سعوديين ينظرون إلى القصص التي أغرق بها الوعاظ وسائلهم المشار إليها بعين التشكيك.

لكن الدعاة الذين تبارك وزارة الشؤون الإسلامية والجهات الرسمية أنشطتهم التوعوية لا يزالون يعتقدون أنهم كانوا يحذرون من أمور تشكل خطراً فعلياً خصوصاً بعد انضمام المملكة إلى ركب العولمة قبل عام ٢٠٠٠ لما سمحت بتركيب الأطباق الفضائية التي كانت ممنوعة، وبالانضمام إلى شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت).

وبينما يعتقد كتاب سعوديون مثل حمزة المزيني بأن الوعاظ والمذكرين كما يسميهم أقحموا أنفسهم في كل شيء يمارسه المجتمع السعودي الذي لم يكن جديدا على الدين أصلاً، يرى الدعاة من جانبهم أن وقائع التجاوزات الأخلاقية التي لا يزال الدعاة يحذرون المجتمع من خطورتها، تشهد بأن القصص التي قيلت فيما سبق عن المعاكسات والجرائم الأخلاقية لم تكن مختلقة كما يدعي بعض الليبراليين الذين يقللون باستمرار من عمل الهيئات وتوعية الدعاة.

وقبل الخوض في النظرة الشرعية للمعاكسات أو الترقيم الفضائي والإلكتروني التي دفعت العلماء السعوديين إلى التشديد في رفضها، نورد نموذجاً لواحدة من القصص التي اكتسحت الساحة الإسلامية وأصبحت ومثيلاتها شاهداً على خطورة المعاكسات من وجهة نظر كل الرافضين لها.

قصة ترددت كثيراً

تقول إحدى المطويات التي عنونتها دار ابن الأثير التي أصدرتها بـ "لصوص الأعراض" إن أحد الذئاب البشرية وهو على فراش الموت يعترف لصديقه بما اقترفت يداه مع تلك الفتاة المسكينة فيقول: منذ عشرسنين كنت أسكن أنا ووالدتي بيتا يسكن بجانبه جار لنا من أرباب الثراء والنعمة، وكان قصره يضم بين جناحيه فتاة ما ضمت القصور أجنحتها على مثلها حسنا وبهاء ورونقاً وجمالاً، فألم بنفسي من الوجد بها ما لم أستطع معه صبراً فما زلت أعالجها فتمتنع، وأستنزلها فتتعذر وأتأتى إلى قلبها بكل الوسائل فلا أصل إليه، حتى عثرت بمنفذ الوعد بالزواج فانحدرت به إليها فسكن جماحها وأسلس قيادها فسلبتها قلبها وشرفها في يوم واحد".

وتمضي القصة كما ترويها الدار على لسان الجاني قائلاً: "وما هي إلا أيام قلائل حتى عرفت أن جنيناً يضطرب في أحشائها فأسقط في يدي وطفقت أقلب طرفي هل أفي لها بوعدها أم أقطع حبل ودها، فآثرت الأخير وهجرت ذلك المنزل إلى منزل آخر ولم أعد أعلم بعد ذلك من أمرها شيئاً"!

وفي سرد بديعي ممل أنهت الدار القصة بأن الفتاة بعد مرور مدة طويلة من هجران الشاب لها، بعثت إليه على عنوان بريده برسالة شجية، تذكره فيها بخداعه وخسته وكيف أنه قتلها هي وعشيرتها على حد سواء حينما سلبها شرفها.

وتنهي رسالتها الطويلة إلى عشيقها السابق قائلة: "ما كتبت إليك هذا الكتاب لأجدد بك عهداً أو لأخطب إليك وداً، فقد عرفت مكانك من نفسي، على أنني أصبحت على باب القبر وفي موقف وداع هذه الحياة خيرها وشرها، سعادتها وشقائها، وإنما كتبت إليك لأن لك عندي وديعة وهي (فتاتك)، فإن كان الذي ذهب بالرحمة من قلبك أبقى لك منها رحمة الأبوة، فأقبل إليها وخذها بجنبك حتى لا يدركها من الشقاء ما أدرك من قبلها".

الحب ليس ضرورياً!

ويعود رفض العلماء السعوديين للمعاكسات تحت أي مبرر إلى اعتقادهم أن "أي علاقة حب مع الأنثى خارج إطار الزوجية تعتبر محرمة".

ويقول أحد أبرز المهتمين بقضايا الشباب والفتيات في السعودية الدكتور محمد المسند إنه يأسف لإيحاء وسائل الإعلام للفتى والفتاة بأن "هذا الحب أمر ضروري في حياة كل إنسان، ولو كان خارج إطار الزوجية".

ومع إقراره بأن "الحب منه ما واجب كحب الله وما هو مباح وطبيعي كحب الأب والأم والزوج والزوجة" إلا أنه رأى كذلك أن في "الحب ما هو محرم، كحب الرجل للأنثى الأجنبية، وهذا النوع من الحب تترتب عليه أضرار دينية ونفسية وصحية واجتماعية وأدبية ومادية" حسب رأيه.

وعلى الرغم من الحضور التي اكتسبتها الوسائل البدائية للدعاة السعوديين المحذرين من المعاكسات إلا أن هذه الأخيرة جرت عولمتها فضائيا وإلكترونيا، وباتت البلوتوث والتشات والرسائل القصيرة على الفضائيات سوقاً رائجة للمعاكسات أو لـ "اصطياد الجنسين بعضهما".

غير أن وقائع التحرش والاعتداءات التي انتشرت على نطاق واسع بواسطة البلوتوث فيما عرف اجتماعياً بـ "فتاة الباندا" وفتاها برجس، وقضية "نفق النهضة" كانت إنذاراً قاسياً لمجتمع محافظ كالسعودي، دفعت العديد من الأسر إلى مزيد من الرفض للمعاكسات، ومزيد من محاولة السيطرة عليها. ويبقى الخير والشر في تدافع إلى يوم الدين.